

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:



البناء الاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي مع بداية

الفتح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: القرون الوسطى

إعداد الطالب:

* محمد الأمين مرزوقي

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
الصفة	المؤسسة الجامعية	اسم و لقب الأستاذ(ة)
رئيسا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	حروز عبد الغني
مشرفا و مقررا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عمران عبد الحميد
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	بن حسين مصطفى

السنة الجامعية : 2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر و عرفان

قال الرسول (ص) : .: من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﷻ حديث شريف

أحمد الله عزوجل حمدا كثيرا مباركا على توفيقه لإتمام هذا البحث راجية
منه التوفيق والسداد.

اعترافا بالفضل وتقديرا بالجميل أتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذ
المشرف عمران عبد الحميد الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة،
اعترافا وتقديرا لجميل صبره، وحسن تواضعه راجيا من المولى عز وجل أن
يزيده، رفعة وعلما.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى كل من مد لي بيد العون
وساهم في تذليل ما واجهته من صعوبات طيلة أطوار إنجاز هذا العمل ولو
بكلمة طيبة .

وأخص بالذكر

أساتذتي الكرام الذين سأنال شرف مناقشتهم لبحثي هذا، فلهم الشكر
والعرفان على مجمل نصائحهم وتوجيهاتهم التي ستنير دربي العلمي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لصديقي السهلي صاحب مكتبة النجاح الذي ساعدني كثيرا.

مقدمة

1- التعريف بالموضوع:

عرفت بلاد المغرب العديد من التأثيرات الخارجية ابتداء من الفينيقيين انتهاء بالبيزنطيين حيث حاول هؤلاء فرض نظم حياتهم وغرسها في المجتمع مستعملين عدة طرق سواء كانت بالقوة أو باللين ولعل أبرزها سياسية الرومنة التي قام بها الرومان في العصر القديم وحاول إكمالها البيزنطيون لاحقا .ولكن أثبت المجتمع المغربي انه ليس من السهولة تغييره وصهره داخل مجتمع آخر فلقد دافع عن هويته و خصوصياته والكتابات التاريخية تثبت ذلك وهذا ما جعله مجتمع متميز له خصوصيات تختلف عن البقية جعلت منه محل دراسة .وهذا ما شجعتني على البحث لكشف الغموض عن بنية هذا المجتمع وعاداته وتقاليده مع بداية التاريخ الإسلامي في المنطقة خاصة إذا عرفنا أن العرب المسلمين هم الوافدون الوحيدون الذي أثروا في المجتمع المغاربي وسلوكياته وحتى بنيته لاحقا .

2- دوافع اختيار الموضوع:

عظفا على ما سبق أوضح انه اجتمعت عدة دوافع علمية وذاتية دفعتني لاختيار هذا الموضوع، ومن أهمها أذكر:

- أهمية الموضوع في كشف جانب مهم من زوايا تاريخ المغرب الإسلامي في بداية عهده.

- كثرة التساؤلات والنقاشات التي أثارت وما تزال تثير الكثير من الجدل بسبب تضارب الروايات و الأطاريح حول الحياة الاجتماعية لسكان شمال أفريقيا في هذه المرحلة الانتقالية.

- جدة الموضوع، حيث رأيت أنه لم يتعرض للبحث والدراسة في هذا الإطار الموضوعي والزمني المدروس بسبب عزوف اغلب زملائي عن دراسة بداية التاريخ الوسيط في المنطقة و اكتفائهم بالعهد الإسلامي الوسيط أو المتأخر فقط.
- رغبتى الشخصية وميولي نحو بداية التاريخ الوسيط خاصة ما تعلق منها بتاريخ شمال أفريقيا .

3- إشكالية الموضوع:

إن البحث في البناء الاجتماعي لسكان شمال أفريقيا موضوع كبير جدا لن تكفه مذكرة الماستر للإحاطة بكل تفاصيله ،أولا بسبب أهمية الموضوع و ثانيا لتضارب الروايات .لذلك عملت جاهدا على الإجابة على ما رأيت أنه الأهم يستحق التركيز عليه أكثر خاصة أنني في بداية البحث كنت مرتبك حول الموضوع و هل سأوفق في لمس النقطة الأهم المزمع مناقشتها في البحث لذلك كانت إشكالية البحث الرئيسية هي:

ماذا نقصد بالبناء الاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي و كيف كانت الحياة الاجتماعية للمغربي و كيف كانت نفسيته قبل أن يستقبل الدين الجديد الذي سيغير مسار التاريخ و الحضارة في شمال أفريقيا؟

ومن منطلق هذه الإشكالية المحورية نطرح الأسئلة التالية للامساك بخيوط وجزئيات الإشكالية:

- 1- ماهي الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الإسلامي؟
- 2- من هي أهم المجتمعات الوافدة على شمال أفريقيا التي شكلت فسيفساء ديمغرافية متنوعة قبل وصول المسلمين الفاتحين؟

3- كيف كان البناء الاجتماعي داخل القبيلة البربرية وهل كان يشبه غيره من الأقسام الأخرى أو اختلف عنهم؟

4- كيف كانت مظاهر الحياة الاجتماعية السكان الاجتماعية قبل دخول قوانين الدين الإسلامي التي غيرت الكثير في حياتهم لاحقاً؟

4- منهج البحث:

للإجابة عن الإشكاليات المطروحة ومن أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية تطلب مني الأمر وصف المعطيات التاريخية وتحليل الوقائع ومناقشتها والمقاربة أحياناً بين مواقف المؤرخين خاصة المصادر القريبة، وعليه اعتمدت أساساً المنهج التاريخي الوصفي في استعراض وتقصي التطورات والأحداث التاريخية وإبراز أهم النقاط التي تهمنا في موضوع البناء الاجتماعي، وسلكت المنهج التحليلي النقدي في دراسة النصوص والوقائع .

5- الصعوبات المواجهة:

لا شك أن البحث في مثل هذا الموضوع الواسع الجوانب الشائك القضايا والمتعدد الحقول المعرفية، والأطراف المؤثرة يخلق صعوبات جمة أمام الباحث، فقد تطلب منا الأمر تجاوز الصعوبات المتعلقة بظروف البحث وجمع المادة خاصة المصادر التي كانت شحيحة جداً بسبب اهتمام المؤرخين المسلمين ببطولات قادة الفتح و التغيرات السياسية أكثر من تركيزهم على التحولات الاجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي مع بداية تعرفهم على الدين الإسلامي .

وواجهتني صعوبات تتعلق بموضوع البحث، منها ما يتعلق بحدود مشروع البحث مكاناً وزماناً، حيث أن الفترة المعالجة والإطار الجغرافي واسع جداً، فالإطار المكاني

شاسع جدا يمتد من شرق مصر إلى المحيط الأطلسي غربا لذلك ركزت في أمثلي على أبرز الأماكن التي كانت أرضها موطن التغيرات أكثر خاصة الاجتماعية منها ،أما فيما يخص الإطار الزمني فلقد كان قصير جدا لا يتجاوز الأربعين سنة ولربما هذا هو سبب شح المصادر التي تتكلم عنه خاصة المصادر الإسلامية حيث نلاحظ أن أغلبهم أهمل الحياة الاجتماعية و بنية المجتمع المغربي مكتفين بتشبيهه بالمجتمع العربي في الكثير من الروايات بالرغم من تفرده بصفات مختلفة عن بقية الأمم .

ومن الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث هي صعوبة التوفيق بين العمل كأستاذ التعليم المتوسط في بلدية بعيدة عن مقر سكني ب 75 كلم يوميا و كذا الدراسة و كتابة هذه المذكرة بعد ذلك .فالعامل في مجال التعليم يتطلب منك الضمير والإخلاص في العمل مع تلاميذك و هذا ما جعلني ربما لم أوفق كثيرا في التعمق في الموضوع والإفادة أكثر وهذا ما جعل عملي متواضع جدا . كما أن ارتباطي بالعمل جعلني ألغي عدة مشاريع سفر من اجل جلب مصادر و مخطوطات أكثر تزيد من قيمة البحث .

6- مصادر البحث ومراجعته :

أما فيما يتعلق بمصادر البحث فقد تم الاعتماد في المقام الأول على العينات الآتية:

- 1- المصادر العربية الإسلامية و لعل أهمها طبعا مقدمة ابن خلدون و كتاب العبر الذي يعتبر المصدر الأول الإسلامي الذي تكلم عن انساب البربر بإسهاب .كما استفدت من ابن حزم الأندلسي في كتاب الجمهرة و كذا ابن عذاري المراكشي و ابن منظور و ابن حوقل و البكري و المقدسي و غيرهم و ذلك من اجل محاولة جمع مادة علمية تسمح لي بالتوسع في البحث أكثر .

2- الكتب والمراجع العلمية المؤرخة للموضوع و أهمها كتاب الدكتور يوسف عيبش الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي الذي ساعدني في التعرف على شكل المجتمع البربري في الفترة البيزنطية وقبيل الفتح كما أخذت منه الحياة الدينية للمجتمع البربري ومحمد العابد الجابري في كتابه العصبية والدولة الذي قرب لي العلاقة بين الإنسان والقبيلة في ذلك الوقت وأيضا مجمل تاريخ المغرب لمؤلفة عبد الله العروي الذي يعد مرجعا مهما في دراسة المجتمع القبلي لبلاد المغرب الإسلامي وكذلك كتاب اليهود في ليبيا و تونس والجزائر لعطا أبو رية حسنين محمد ربيع في كتاب دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية .

7-خطة البحث:

لقد قسمت البحث إلى ثلاث فصول رئيسية ، إضافة إلى تمهيد و مقدمة خاتمة وملاحق مرتبطة بالموضوع:

فخصصت التمهيد للحديث عن الموقع الجغرافي لبلاد المغرب و المناخ السائد هناك لأن فهم طبيعة الأرض و المناخ يسهل تفسير بعض السلوكيات والمظاهر الاجتماعية لاحقا.

أما الفصل الأول فخصصته للحديث عن المجتمعات الوافدة على أرض بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي فحاولنا التكلم عن كل وافد بإيجاز وهم اليهود وبقايا الوندال والبيزنطيون وكذا الأفارقة المترومين . بالرغم من أنهم لم يؤثر في البناء الاجتماعي للمجتمع المغاربي ولكن يجب ذكرهم فلا بد من تأثير معين لهم لم تذكره المصادر التي دائما ما تذكر أن المغاربة لا يحبون الاندماج كثيرا و يفضلون الانعزال بثقافتهم وأن بوادر الاندماج كانت مع العرب الفاتحين .

أما الفصل الثاني فقد كان حول البناء الاجتماعي للمجتمع و تنظيم القبيلة البربرية كما قمت بذكر أهم القبائل التي كان لها تأثير في مسار الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سواء بتعطيلها للفتح أو مساهمتها فيه.

وفي الفصل الثالث والأخير تناولت الحياة الاجتماعية للمجتمع المغاربي من حيث والعادات و التقاليد و من تغيرات في الحياة الدينية كما حاولت جمع بعض المعلومات عن حياتهم اليومية من طعام ولباس و مسكن ووسائل لهو في ذلك الوقت استنادا على المصادر

وأنهيت البحث **بخاتمة** حاولت من خلالها الإجابة على إشكالية الموضوع، وأسئلتها الفرعية، اعتمادا على التحليل الذي قمت به بين فصل و آخر .

وفي الأخير لا أدعي أنني أحطت بالموضوع من كل الجوانب، وإنما ربما لامست الحقيقة أو اقتربت منها، وفتحت الشهية أمام الباحثين لتسليط الأضواء الكافية على الموضوع، وسد الثغرات آملا أن يوفق من يأتي بعدي ليثري الموضوع أكثر خاصة في هذه الفترة المهمة من التاريخ.

تمهيد

بلاد المغرب المجال الجغرافي
،المناخ والتضاريس

أولاً: الموقع الجغرافي
ثانياً: التضاريس والمناخ

الموقع الجغرافي و المناخ:

تغيرت الخارطة السياسية للمغرب عدة مرات في نصوص المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية فكانت تضيق وتتسع وفقا لتحركات القبائل المحلية التي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المغرب .

فجد المؤرخ هيرودوت (Hérodote)¹ يطلق على الإقليم الممتد من غرب مصر إلى رأس سولوس² مصطلح "لوبة" ويذكر أنها القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوربا وآسيا، تتخللها المسطحات المائية القديمة المعروفة بخليج السيرت الكبير وبحيرة التريتونيس وأعمدة هرقل³، وأنها أكثر اتساعا كلما اتجهنا جنوبا أين ترتع الوحوش⁴ ثم تشكل شريطا يمثل منطقة صحراوية بمحاذاة الأطلس.

¹ - هيرودوت: مواطن من مدينة (هاليكارناسوس) في كاريّا الإغريقية يرجع مولده إلى حوالي 484 ق.م، ظل سبعة عشر عاما يجول العالم آنذاك، عرف بأبي التاريخ لأنه كان أول من صنف كتابا جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه، وقد توفي عام 424 ق.م. للمزيد ينظر إلى: هيرودوت، التواريخ، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشيم، ط02، القاهرة، مصر، 1975، ص ص، 10، 11.

² - سولوس: أكبر الظن أن يكون المقصود بذلك المنطقة الصخرية من صخور ساحل أفريقيا الغربي، وهي التي عرفت فيما بعد باسم (SPORTEL) وربما كان المقصود بها الصخور المعروفة باسم (Cantin). للمزيد ينظر إلى: هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، 1966، ص، 112.

³ - خليج السيرت: يقع بليبيا الحالية، وبحيرة التريتونيس تعرف حاليا بشط الجريد، أما أعمدة هرقل فهي مضيق جبل طارق. للمزيد ينظر إلى: مها محمود عيساوي، "إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية"، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة 23/24 ديسمبر 2011، ص، 95.

⁴ - هيرودوت، المصدر السابق، ص، 112.

ثانيا: التضاريس والمناخ :

يذكر علم الجغرافيا الحديث أن بلاد المغرب يظهر على شكل رباعي الأضلاع غير المنتظم، يتميز الحد الشمالي لهذا الرباعي بوجود سلسلة جبال الأطلس¹ وهي جبال مرتفعة تتجاوز قممها 2000م، وتنقسم إلى قسمين: القسم الساحلي بامتداده وتواصله ما عدا في المنطقة الوسطى بين الريف ومنطقة القبائل، حيث تتميز بالهضاب والخلجان أما المنطقة الداخلية فتميزها جبال البيبان والونشريس، وتمتد بينهما السهول منها سهول الشلف ومتيجة².

وفيما يخص الحد الجنوبي للرباعي فهو عبارة عن الأطلس الصحراوي، ويعد الأطلس الأعلى حاجزا طبيعيا أمام المؤثرات الساحلية كون بعض مرتفعاته تتجاوز أحيانا 4000م، أما الأطلس الصحراوي فهو قليل الانحدار والارتفاع وكذا اتصاله شمالا بالبحر وجنوبا بالصحراء دون أن يكون عائقا للاتصال بين الشمال والجنوب بفضل المعابر التي تتركها حلقات هذه السلسلة، وفي غرب المضلع تتوضع كتلة الأطلس الأوسط التي تشكل حلقة وصل بين الأطلس الأعلى في الجنوب الغربي والأطلس التلي، وفي الشرق نجد جبال الظهر التونسي، التي تعد امتدادا للأطلس الصحراوي³، فالجبال هي المظهر التضاريسي المميز لبلاد المغرب القديم، يليها السهول بأنواعها⁴.

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص، 12.

² - حسان حامد، أطلس العالم الصحيح، دار مكتبة الحياة، لبنان، 2000، ص ص، 129 - 131.

³ - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري - منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي-

المؤسسة الوطنية الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص ص، 14 - 16.

⁴ - محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2003،

وتقع بلاد المغرب في المنطقة المعتدلة الشمالية، ولكن في قسمها الجنوبي إذ يقع بين الدرجة 29° من خطوط العرض الشمالية(أقصى غرب الأطلس الصغير)، والدرجة 37° أقصى الشمال الشرقي للبلاد التونسية، فهو إذن من جملة البلاد الحارة، غير أن الاقتراب من البحر أو البعد عنه والاختلاف في العلو أوجدوا بشمال إفريقيا اختلافات مناخية واضحة ، ونظرا للعوامل التكتونية التي طرأت على منطقة المغرب في الشكل المونفورولوجي الخاص بها، فهي في موقع متعرض لتأثير البحر والصحراء مما يؤكد قساوة المناخ القاري في معظم أراضيه.

يكون الصيف مبكرا في هذه البلاد خاصة كلما توغلنا في الجنوب الصيف يتبع الشتاء والشتاء يتبع الصيف في طفرة ومن دون تدرج، ومعدل درجات الحرارة على السواحل لا يفوق 25م°، لكن حرّ النهار يبقى منتشرا في الليل ، والهواء الرطب كثيرا ما يكون في الآفاق كأنه بخار رمادي، والشتاء معتدل لكنه لا يزود السكان بما يحتاجون إليه من أمطار، والتضاد يقوى إذا توغلنا في داخل البلاد، ففي الصيف يطول النهار ويجف الهواء وتعلو درجات الحرارة بسرعة وكثيرا ما يبلغ حدّها الأقصى 40م° وحتى 45م°.

وفيما يخص الثروة الغابية فهي ثروة متوسطة، إذ تعد غابات بلاد المغرب القديم ثرية بأشجار البلوط والعرجار والعناب والأرز والفلين والصنوبر النوميدي،.أما التساقط فهو قليل عموما ويقدر متوسطه بحوالي 100 ملم مكعب، والمجاري المائية عبارة عن وديان من أشهرها نهر الملوية ومجردة وواد أم الربيع وواد الشلف وهي دائمة لكنها قليلة الجريان. وهكذا فتباين التضاريس والمناخ والغطاء النباتي أعطى بلاد المغرب صعوبة في الاتصال بين مختلف أقاليمه، وكان لوجود الصحراء أثر كبير في ازدواجية النمط

المعيشي بين البدو والحضر، وهذا لا ينفي أنها شكلت بتنوعها وسطا ملائما للتواجد البشري في هذه المنطقة وخلق مجتمع متميز سيكون موضوع دراستنا.

أنظر الملحق رقم 01: ص 46

الفصل الأول

المجتمعات الوافدة إلى بلاد
المغرب

أولاً: اليهود

ثانياً: الوندال

ثالثاً: البيزنطيون (الروم)

رابعاً: الأفارقة

يعتقد بعض الدارسين أن الوافدين الذين مروا بالمغرب من الفينيقيين والرومان والوندال والروم البيزنطيين لم يكونوا يهتمون بالمغرب إلا بقدر ما كان يهمهم الأمن الداخلي ويجعل الجباية مستمرة، وطرق المواصلات البرية والبحرية آمنة. مما يؤكد لنا أنه لا فرق بين هؤلاء الغزاة كلهم. وهو ما جعل تأثيرهم محدود ، رغم نفوذهم السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي والديني على المغرب. مما جعل تأثيرهم يزول بزوال ملكهم واضمحلال وجودهم .

إن جهل الأجنبي بطبيعة الحياة القبلية للمغربي، واقتصار نفوذهم على مناطق محدودة وعدم التوغل داخل البلاد، وترفعهم عن السكان المحليين قضى على حكمهم ، وحكم عليهم بالفشل، فهم لم يخاطروا ليتعرفوا على طبائعهم، وأنماط حياتهم الاجتماعية والثقافية، رغم المدة الطويلة التي تواجدوا فيها على أرض المغرب. وهذا بلا شك عائد إلى النظرة الاستعلائية التي كان المحتل الأجنبي ينظر بها للسكان الأصليين فقد نعتهم بالبربرية ووصفه بالوحشية لأنه لا ينتمي إلى نفس العرق و الجنس و الحضارة فلم يسعى إلى مد حبال التواصل بينه و بين سكان المغرب بل اعتبرهم خدما فقط للسيد الجديد .

وربما جرى بعض التقارب في فترات محددة، لكنها لم تكن تكفي لإزالة عوامل الشك والارتياب بين الطرفين. لكن استمرار الثورات، وبروز انتفاضات محلية ضد الغازي بدافع العقيدة الدينية تارة، أو تحت ضغط العامل الاقتصادي تارة أخرى يثبت حالة لا استقرار .

لقد توافرت عوامل الثورة وأسبابها فصيرت السكان كتلة واحدة ثارت ضد المحتل من أجل الاستقلال ودفع الظلم والقهر¹. لذلك كان الأثر الذي تركوه قليلا، بينما كان

¹ - موسى لقبال: البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام، الأصالة، ع 24 ،مارس-

الجرح الذي خلفه كبيرا . وقد كان المسلمون الأقدر منهم على فهم طباع السكان، وطرائق حياتهم، مما سهل عليهم فرص التفاهم معهم، ثم التأثير فيهم بل والاختلاط بهم. وهذا بدافع الدين الإسلامي الذي سوى بين البشر دون نظر إلى عرق أو لون. كما كان التشابه في أنماط الحياة وأساليبها بين العرب والبربر قد سهل عملية التواصل هذه.

وهذا التشابه في الحياة وأنماطها مكنهم من فهم أغوار نفوسهم، وبالتالي المقدرة على التأثير فيهم. وأدى ذلك لإقناعهم باعتراف الدين الإسلامي وتبني اللغة العربية. كما أن البربر كانوا أيضا يحاولون التعرف إلى حقيقة هؤلاء الوافدين الجدد. فأخذوا في مقارنتهم. ممن سبقهم من الغزاة. كما عمل التشابه الاجتماعي بين الفريقين على إزالة عوامل الارتياح والشك، وبالتالي تحول البربر جزئيا أو كليا إلى الإسلام. إن الذي مكن الدعوة الإسلامية من تحقيق هدفها في بلاد المغرب لا يمكن حصره في بساطة العقيدة الإسلامية، والاستعداد النفسي والفطري للسكان ض أجل تقبل الدين الجديد واعتناقه فقط، ولكن أيضا لما كان العرب يألفونه من حياة الرحلة وحياة القرار في شبه الجزيرة العربية، مما مكنهم من فهم أنماط حياة سكان المغرب وطرق عيشهم، وبالتالي تمكنوا من معرفة طباع السكان، فسهل عليهم هذا التشابه نشر الإسلام والتمكين له، حتى وإن استغرق الأمر كثيرا من الجهد والوقت¹.

في هذا الفصل نستعرض أهم الأمم الوافدة على المجتمع الوافدة على المجتمع المغربي قبل دخول الإسلام وهم اليهود و بقايا الوندال و البيزنطيين والأفارقة الذين بقوا محل جدل بين أنهم أصليين أو وافدين باعتبارهم أخلط بين البربر و غيرهم من الأمم الوافدة و لكن ارتأيت تصنيفهم مع الأمم الوافدة باعتبار عاداتهم و تقاليدهم

¹ - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 162-163 .

وحتى لغتهم لا تمت للبربر بصله مما شجعتني لتصنيفهم كأمة غير أصلية في شمال إفريقيا .

تعتبر هذه الأمم أبرز من ساهم في النسيج الاجتماعي المغربي قبيل وصول المسلمين لذلك كان تركيزي عليهم في هذا الفصل .

أولاً: اليهود:

من الصعب تحديد البداية الأولى لهجرة اليهود نحو منطقة شمال إفريقيا خاصة وأن الآراء حول هذه الهجرة اختلفت بالأسطورة والقصص والتاريخ مما جعل استحالة تحديد بداية الهجرة واحتكاك اليهود بالسكان الأصليين من جهة وغموض تاريخ هذه المنطقة في ظل غياب المصادر الأثرية والمكتوبة من جهة أخرى.

خضعت منطقة شمال إفريقيا للاستعمار الروماني بعد احتلال الرومان لمدينة قرطاجة 145 ق.م فاستأنف اليهود حركتهم في الانتشار بشمال إفريقيا ولا نستبعد أن الجماعات اليهودية قد تبنت عادات وتقاليد الرومان وابتداء من القرن (1م) تأكد وجود جماعات يهودية بشمال إفريقيا وهناك أدلة أثرية ونصوص تاريخية تثبت هجرة اليهود المباشرة وتضاعف عددهم وحدثت أبرز هذه الهجرات في عهد الإمبراطور الروماني تيتوس (TITUS)¹ ودمار المعبد² وقام بتهجير حوالي 30000 من اليهود إلى شرق ليبيا ومنها إلى شمال غرب إفريقيا وتوزع هؤلاء بالمناطق الساحلية والداخلية المتاخمة للصحراء أيضاً، كما تلت هذه الهجرة الإجبارية هجرات أخرى إلى شمال إفريقيا خاصة شمال الصحراء هروبا من القمع الروماني واحتموا بالقبائل البربرية، التي كانت هي

¹ - إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 1927م، ص9.

² - بنا سليمان الهيكل الأول سنة 1013 إلى 1001 ق.م على ذروة صهيون من جبل موريا، واستعمل العديد من العمال ، للمزيد ينظر إلى: ابن أشنهو: أصول الصهيونية ومآلها الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ت)، ص81.

الأخرى معادية للرومان واختلطوا بها مثل قبيلة زناتة¹، في هذه الفترة وقع اختلاط السكان الأصليين من بربر البرانس² بنصارى الرومان في السواحل واشتغلوا بالزراعة أما اليهود فكان اختلاطهم بالبربر البتر³ بالمناطق الداخلية وتسبب هذا الاحتكاك في تهويد طبائع بعض عناصر المنطقة خاصة داخل الصحراء الليبية. وبدأ توسع اليهود غربا وشرقا وحضورهم كان بارزا في مختلف الميادين بالصحراء والمدن الساحلية التجارية واشتغلوا بالزراعة والصناعة الحرفية. وبدأت الجماعات اليهودية ببلاد المغرب تنتظم بداية الحكم الروماني وبرزوا في الحركة التجارية ونشطت فيها قوافلهم التجارية وكانت همزة وصل بين الصحراء والمدن الساحلية مما سهل استقرار اليهود وتنظيم وتطوير حياتهم الاجتماعية والدينية حسب التعاليم التلمودية⁴.

كما كان لغزو الوندال لشمال إفريقيا عام (430م)، أكبر الأثر على هجرة اليهود إلى الجنوب، مما دفع أحبار اليهود إلى استمالة بعض بطون وأفخاذ البربر إلى عقيدتهم⁵. وهذا ما يذكره المؤرخون العرب أن العديد من قبائل البربر كانت يهودية مثل ما تم اعتقاده حول الملكة ديهيا .

¹ - رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقيا، تر: دولت صادف، مر: محمد السيد غالب، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، مصر، 1965، ص 65.

² - البرانس: نسبة إلى جدهم برنس وهم عشر قبائل أوربة، صنهاجة، كتامة، مصمودة، عجيسة، أوريفة، أرداجة، لمطة، هكسورة، جزولة، أكبرهم صنهاجة ، وللمزيد ينظر إلى: ابن خلدون،، تاريخ بن خلدون - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6 ، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص 89 - 114.

³ - البتر: نسبة إلى جدهم مادغيس الأبتير وأقسامهم هي: حزيمة، نفوسة، أداسة، لواتة، مكناسة، زناتة، وللمزيد ينظر إلى السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج 1، دار الكتاب، الرباط 1904، ص، 58.57 .

⁴ - فاطمة بوعمامة: "اليهود في المغرب القديم"، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة 24/23 ديسمبر 2011، ص، 252.

⁵ - عبد الوهاب بن المنصور: قبائل المغرب، ج 1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص، 259.

وقد حرص اليهود على تقوية روابطهم مع البربر من أجل الاحتفاظ بمواقعهم الاقتصادية لأنهم كانوا يشتغلون بالتجارة وبالفعل ازدهرت تجارتهم وانعكس ذلك على استقرارهم ونموهم الديمغرافي. و في العهد البيزنطي اشترك اليهود والبربر في العداوة مع البيزنطيين . فلم يظهروا يهوديتهم خوفاً من بطش البيزنطيين فكان الاختلاط والتزاوج والانصهار أكثر داخل البربر أمر وارد وطبيعي بحكم أنهم كانوا أقلية معرضون للذوبان والانصهار داخل الأغلبية.¹ و بقي اليهود مضطهدين حتى دخول المسلمين الذين أعادوا لهم فتح معابدهم بحرية و ممارسة حياتهم الاقتصادية و الاجتماعية .

ثانيا: الوندال

الوندال أحد شعوب الأمة الجرمانية التي سكنت نهر الدانوب موطنهم في القرن (3ق.م) بشمال جرمانيا²، ينحدرون من قبيلتين الإسلينج والأسدينج Slingset (asding) ويعود أصل تسمية هذه الأخيرة إلى عائلة ملكية³.

بدأ الوندال زحفهم من شواطئ بحر البلطيق خلال القرن الثاني ميلادي، وفي القرن الخامس توجهوا إلى الغرب بسبب المجاعة تحت قيادة "جوديزال"، واستقروا في جنوب اسبانيا التي احتلوها سنة (409م)، واشتهر اسمهم بهذه المنطقة فيما بعد حيث صارت تدعى "فاندلوسيا" ومنها جاء اسم "الأندلس" على عهد الفاتحين المسلمين، وفي ذلك الوقت بدأت تظهر نواياهم إلى أبعد من إسبانيا، وهي النوايا التي سيجدها "جنصريك" مستغلا الظروف التي كانت تتخبط فيها إفريقيا⁴.

¹ - فوزي سعدالله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ص 24، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر 1995م، ص 29 .

² - عبد الوهاب بن المنصور، المرجع السابق ص ص، 63-64.

³ - عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 01، الطبعة 07، ديوان المطبوعات الجزائرية 1994، ص 122.

⁴ - نفسه، ص 122.

ومن أهم دواعي هجرة الوندال والتدخل بإفريقيا التي كانت ترغب في الاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية و ذلك بسبب:

• أن البربر أنفسهم ينتظرون مساعدة الوندال ، حتى يخلصونهم من الضرائب الفادحة التي فرضت عليهم بالإضافة إلى الاستغلال الذي جعل بلادهم خزاناً لروما¹.

وفي سنة (455م) استولى الوندال على ما تبقى في يد الرومان بموجب معاهدة (442م) ومدوا نفوذهم على الإقليم الشرقي من قادس إلى معبد "فيلان" وسيطروا بذلك على إفريقيا ظاهرياً ما يقرب قرناً من الزمن⁵.

اعتمدت الدولة التي أقامها جنسريق في شمال إفريقيا على التقاليد الجرمانية التي لم يتردد في إدخال تغييرات عليها كلما اقتضت الضرورة لذلك²، وهي الدولة التي دامت حتى سقوط "جليمار" سنة (533م)، ورغم هذه المدة الزمنية إلا أن السيطرة الوندالية في إفريقيا لم تكن شاملة بل يمكننا القول أنها كانت سطحية، وربما يعود السبب في ذلك إلى طبيعة المنطقة من حيث السكان والتضاريس، أو ربما عدم رغبة الوندال في التغلغل في الأهالي حفاظاً على كياناتهم وعاداتهم الجرمانية، وبخصوص حدود السيطرة الوندالية في شمال إفريقيا فيرى المؤرخين أنها كانت في الجهة الشرقية³، إذ أن حدود السيطرة الوندالية في عهد "جنسريق" ارتكزت في إقليم طرابلس والمزاق، وبالمقابل لا يستبعد كورتوا وجود جيوب السيطرة الوندالية في المناطق الغربية مستدلاً على ذلك بالعثور على عملة نقدية وندالية في مكناس وطنجة، وهذا ما جعل التأثير

¹ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، ط2، دار الرشاد الحديثة، 1984، ص، 63.

⁵ - المرجع نفسه، ص، 241.

² - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 333.

³ - سويدي فتيحة، سويدي فتيحة، بلاد المغرب خلال العهد الوندالي، مذكرة لنيل شهادة التعليم الأساسي، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، ص، 15.

على المجتمع البربري و على بنائه أمر مستحيل .وكذا حديث (فيكتور دوفيتا)،¹ الذي حدثنا عن عملية قطع الألسنة في مدينة تيبازة وأيضا السيطرة على مدينة قيصرية، ومما يدعم قولنا بارتكاز الوندال في المنطقة الشرقية بالخصوص هو تقسيم الدولة الوندالية إلى خمس مقاطعات نجدها كلها في الشرق: المزاق (Byzacène)، نوميديا (Numidia)، أباريتان (Abartane)، الجريد والمناطق الجنوبية، زغوان².

وبعد قرابة قرن من الاحتلال انتهى عهد الوندال في الشمال الإفريقي³. تاركين ورائهم آثار و تغييرات على التركيبة الاجتماعية لسكان شمال أفريقيا و هذا ما ذكره بروكوب حول أزمة النساء الونداليات و زواجهن من الجنود البيزنطيين و من البربر المنتمين لطبقة الملاكين الكبار و كيف كان للنساء الونداليات الدور الكبير في العديد من القرارات المصيرية خاصة ما تعلق بقضية توزيع الممتلكات وكذا خلق جنس جديد مختلط مع السكان الأصليين. إضافة إلى نشر المسيحية الأريوسية بين العديد من البربر.

ثالثا: البيزنطيون (الروم):

لقد حاولت كل من روما والقسطنطينية في جولات عديدة إسقاط نظام دولة الوندال وانتهت حملة (468م) الكبرى بنكبة، ونظم كل من مابجورين أحد أواخر أباطرة الغرب وليون الأول إمبراطور الشرق حملات ضد جنسريق بدون جدوى، لقد كان اتصال السلطة من طرف جيلمار الذي كان يعيب على الملك الوندالي هلدريك

¹ - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري - منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي-، المؤسسة الوطنية الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص، 14- 16.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص، 123.

³ - عمار عمورة نبيل دادوة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1- الجزائر عامة، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص، 12.

هزأه أمام البربر، وتسامحه إزاء الكاثوليك وتحالفه مع الإمبراطور والذي توفرت له فرصة التدخل في إفريقيا¹، غير أنه ورغم تفوق الأسطول البيزنطي فإن أي حملة ضد إفريقيا تعد مجازفة كبرى، إذ أن البيزنطيين بعيدون كل البعد عن منطقة شمال إفريقيا حيث لو سلك الجيش المسافة راجلا للزم ذلك 140 يوما سيرا على الأقدام ولو كان طريقه بحري فبعد العبور يستوجب الرسو بعيدا ويتطلب الأمر سنة من أجل الحصول على أي مستجد، ففشل المحاولات البيزنطية وعجزها عن تشكيل أي خطر على التواجد الوندالي جعل هذا الإمبراطور زينون Zenan (474م - 491م) يعقد معاهدة صلح وسلام مع الملك الوندالي جنسريك، تم فيها الاعتراف بالمملكة الوندالية بكل من شمال إفريقيا وصقلية، وسردينيا...مقابل إعلان جنسريك ولاءه للإمبراطور وإعادة فتح الكنائس الكاثوليكية².

أما عن الذرائع التي اتخذها البيزنطيون في غزوهم لشمال إفريقيا فنذكر ما يلي:

- نظرة جيستنيان إمبراطور القسطنطينية إلى شمال إفريقيا التي زال عنها حكم الرومان على أنه الوارث المستحق وكان يتحين الفرصة لاسترجاعها وضمها إلى إمبراطوريته.

يعتبر عهد الإمبراطور جيستنيان (527م - 565م) بمثابة مرحلة تحول جذرية جعلت القسطنطينية لا تكتفي بالطموحات والأحلام بل أصبحت ترى أن استرجاع المناطق الغربية واجب، وما زاد هذا التوجه شدة قناعة الإمبراطور جيستنيان بأنه إمبراطور

¹ - محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص 249.

² - يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب" دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، تق: محمد البشير شنييتي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص، 45.

روماني¹، بكل معاني هذه الكلمة حيث كان يرى أنه من واجبه إعادة استرجاع الوحدة الدينية هذا إذا علمنا أن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعا دينيا².

• وإذا كانت المحاولات السياسية والضغوطات العسكرية البيزنطية بغية إطلاق سراح الملك المخلوع هلدريك قد باءت بالفشل فإنها لم تكن السبب الوحيد لحمل البيزنطيين على التدخل ضد الوندال وتشير مصادر كثيرة إلى أصوات النجدة القادمة من مقاطعة إفريقيا خاصة من عند أنصار الملك، ويورد لنا بروكوب في هذا الصدد قوله: "أبوليريانوس Apollirianos" أصله من إيطاليا قدم في سن المراهقة إلى ليبيا فأعقد عليه الملك هلدريك عندما كان ملكا على الوندال ثروات هائلة وبعد الإطاحة بالملك وإدخاله السجن، توجه هذا الشخص رفقة مجموعة من الليبيين أنصار قضية هلدريك، لطلب الحماية من الإمبراطور جستنيان".

• العامل الديني الذي كان من أكثر الذرائع استعمالا في الخطاب الرسمي للإمبراطور، إذ أن هناك طبقة من نبلاء إفريقيا كانوا يزينون لجستيان غزو البلاد مزودين إياه بمعلومات حول بلدهم، محرضين له على التحرك، مؤكدين له اتساع البلاد ومسالمة أهلها، موضحين له أن البلاد تم اغتصابها من طرف الوندال منذ عهد جنصرىك³.

• الوضع الذي آلت إليه المملكة الوندالية من الضعف والانحطاط وبخاصة بعد وفاة جنصرىك حيث تسببت وفاته في الثورات الانفصالية بقيادة عدة قبائل وإمارات البربر

¹ - - مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، ج 1 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ص 362.

² - حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط 05، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1995، ص، 47.

³ - يوسف عيش، المرجع السابق، ص ص، 47- 48.

القريبة وعلى نطاق جغرافي واسع بإفريقيا الشمالية.¹ (أنظر خريطة الممالك البربرية ص47).

• قلة عدد الجيش الوندالي الذي لم يتخطى عتبة 30 إلى 40 ألف محارب، كما لم يكن للوندال حماسات قتالية، وجاء توضيح هذا على لسان بروكوب².

رابعا: الأفارقة:

وهم أخلاط من الناس، ومزيج من المستعمرين السابقين، ونفر من البربر ممن دخلوا في طاعة المستعمر، وهم كما يوصفون حماة النظام من أهل قرطاجة أو رعاياها، ومن الممكن أن يكون هؤلاء من المولدين انصبغوا بالحضارة الرومانية كما يكونوا اعتنقوا المسيحية تأسيسا بسادتهم. وامتلكوا الأراضي والإقطاعات الزراعية، مما جعلهم يستعينون بالفاتحين المسلمين ضد الكاهنة عندما عمدت إلى إتباع سياسة الأرض المحروقة لمنع المسلمين من التقدم نحو دواخل المغرب الأوسط ومنطقة الأوراس³ قال البكري⁴ "وقال قوم إنما سمو الأفارقة، وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصرم"، أي أنهم سكان أصليون يضافون إلى البربر رغم أن بعض المؤرخين لا يصنفهم كمغاربة و يكتفي بتسميتهم أفارقة. ورغم أن كثيرا منهم دخل في الإسلام لاحقا، فقد بقي كثير منهم يتكلمون لغة خاصة لهم ربما تكون مزيجا من اللغة البربرية واللاتينية وهذا دليل اختلافهم عن البربر وبشأن مهادنتهم للبيزنطيين و كذلك دخولهم في الإسلام لاحقا طواعية يعتقد سعد زغلول عبد الحميد أن الذي دعاهم إلى

¹ - محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ، ص، 487.

² - محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص 250.

³ - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب الاسلامي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال. ج1، منشأة المعارف الاسكندرية، 1996، ص 106 .

⁴ - البكري، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي النشر، 1992، ص193.

ذلك هو سعيهم للمحافظة على ثرواتهم وممتلكاتهم من التدمير أو المصادرة. وهذا ما شجعني في بحثي لتصنيفهم كأجانب و ليس أصليين خاصة و أنه بعد دراستي للحياة الاجتماعية التي تطرقت لها في الفصل الثالث تأكدت أنه لا تجمعهم سوى عناصر طفيفة لا تؤكد الانتماء للمجتمع البربري .

الفصل الثاني

البناء الاجتماعي للمجتمع
المغاربي

أولاً: التنظيم القبلي

ثانياً: أهم القبائل البربرية مع بداية الفتح
الإسلامي

إن الوسط الجغرافي الذي يعيش فيه الإنسان يؤثر في سلوكه الاجتماعي وفي نوع النشاط الذي يمارسه، وحتى نوع الغذاء الذي يتناوله، وشكل اللباس الذي يرتديه.

يقول الأستاذ حسين مؤنس "إن البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها شعب من الشعوب لها أكبر الأثر في الشكل الحضاري الذي ينشئه. لأن الإنسان يأخذ مادة حضارته مما حوله والظروف الطبيعية التي تحيط به لها أعظم الأثر في حفز همته إلى العمل والإنشاء والابتكار، أو في تثبيط همته وحرمانه من كل تطلع إلى جديد"¹. ولذلك شرحت التنوع المناخي و التضاريس لبلاد المغرب في التمهيد لأن تنوع العادات و التقاليد و كذا خصائص القبائل يتغير بتغير المناخ و التضاريس و طبيعة المنطقة التي تعمر بها تلك القبائل. فالقبائل التي عاشت متاخمة للحواضر ليست هي نفسها تلك القبائل التي تعيش بعيدة عن مراكز التركيز الحضاري. كما أن بنية القبيلة البربرية لم تختلف كثيرا عن نظيرتها العربية أو حتى قبائل الشعوب الأخرى، كما ننوه لوجود اتحاد قبائل أسس أمة بجد ذاتها مثل ما هو الأمر مع قبائل زناتة و أيضا نظام الإمارة مثل ما كان عند قبيلة جراوة و أميرته ديهيا و كذلك اتحاد قبائل أوربة الذي كان ملكه أكسل أو كسيلة في المصادر العربية.

وما دمنا نتكلم على المجتمع المغربي فإن الطابع الغالب عليهم قبل الفتح أن أغلبهم جبليين وصحراويين وقليل منهم من الحضر المستقرين، ورغم أن التمدن بالنسبة للبديوي يكاد يكون غاية ومقصدا يسعى إليه². كما أن البيئة الطبيعية لاشك أنها عملت على بروز ظاهر البداوة واستفحالها في المنطقة، لأن القرار يقتضي الثبات في منطقة

¹ - حسين مؤنس، الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط2، عالم المعرفة، الكويت 1998، ص 27 .

² - محمد العابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الاسلامي، ط1، دار الثقافة، الدار

معينة، ومزاولة نشاط اقتصادي يتلاءم والطبيعة الجغرافية. وهذا ما اتفق عليه المؤرخين أن البربر يكرهون نزول المدن وينزلون الجبال والرمال لذلك بقيت المدن بيد الروم حتى فتحها العرب المسلمين¹.

أولا - التنظيم القبلي:

يقوم النظام الاجتماعي عند البربر على القبيلة التي تعد إحدى أهم دعائم المجتمع البربري التقليدي على النحو الذي كان عليه العرب أيضا، وإذا كان التراث البربري القليل لا يسعنا بنصوص تمكننا من تحديد مفهوم القبيلة ومدلولها، فعلى العكس من ذلك بالنسبة للعرب؛ لأن لهم تراثا قويا غنيا بحكم أن القبيلة هي الوحدة الاجتماعية المحورية التي صحبت مختلف مراحل التاريخ العربي القديم والحديث. مما جعلهم يفردون لمصطلح (القبيلة) مؤلفات وأبوابا ومباحث².

ففي لسان العرب¹ "القبيلة من الناس بنو أب واحد".." و "القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام كالسبط من ولد إسحاق عليه السلام سموا بذلك ليفرق بينهما" . وقال الرازي في مختار الصحاح " القبيلة تكون من الثلاثة فصاعدا والعرب... وقبائل العرب هم بنو أب واحد..." .

كما قسم العرب المجتمع إلى شعوب وقبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وعشائر.. قال ابن عبد ربه² "الشعوب العجم، والقبائل العرب، وإنما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها وتناظرها،

¹ - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 84.

² - محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002، ص53.

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، ج5، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ص71.

² - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 3 ، تح: مفيد محمد قميحة ، : دار الكتب العلمية، 1983، ص272

وأن بعضها يكافئ بعضا، وقيل للشعب شعب لأنه انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة وقيل لها عمائر من الاعتماد والاجتماع، وقيل لها بطون لأهلها دون القبائل، وقيل لها أفخاذ لأنها دون البطون، ثم العشيرة، وهي رهط الرجل خاصة".

فالتنظيم الاجتماعي القبلي الذي كان عليه سكان المغرب هو التنظيم الذي يتناسب وطبيعتهم الجبلية وشبه الصحراوية التي عاشوا فيها. فهم أهل بدواة وليسوا أهل قرار. وسكان البادية أحوج ما يكون إلى التعاون في حاجات المعاش كما يقول ابن خلدون.¹

والقبيلة عند البربر تنسب إلى أب أو جد، مما يجعل الرابطة الجامعة بين أفرادها هي الرابطة الدموية نظريا على الأقل. فأبناء القبيلة، هم بنو فلان من الناس أو بنو علان، لأن القرابة والملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية، وهما أيضا اللذان يميزانها عن غيرها من الجماعات، ذلك لأن العصبية تكون لجماعة دائمة، فهي بذلك ليست من الجماعات المؤقتة التي تتشكل تلقائيا بمناسبة طارئة في مكان وزمان معينين بدافع خارجي.

فالنظام الذي يقرون به، ويعملون على استمراره هو النظام القبلي الذي ألفوه، فأصبح مع توالي الأزمان لصيقا بهم، لا يجد الفرد نفسه إلا جزء من هذا النمط الاجتماعي، يمارس دوره كسائر أفراد القبيلة فلا تتحقق حرية الفرد إلا في حرية القبيلة. يشعر الأفراد في القبيلة برابطة فسيولوجية قوية تجمع بينهم، مما يجعلهم لا يتوانون في بذل الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن القبيلة وشرفها، والذود عن استمرارها، فلا يتأخر الفرد منهم في نجدة أفراد القبيلة في جمع الظروف والمناسبات.²

¹ - ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004، ص 132.

² - الجابري. المرجع السابق، ص 252.

يتزعم القبيلة شيخ من شيوخها يسمى عادة " أمغار " ويكون الشيخ من حكماء أفرادها وأوفرهم مالا لأنه هو الذي يبادر في حالات الطوارئ إلى البذل من ماله، وأرجحهم رأيا وأكملهم عقلا لأن ضرورات السياسة تقتضي أن يكون زعيم القبيلة حسن الرأي راجح الفكرة يتمتع بالسلطة المطلقة في الحرب، لكنه في أوقات السلم لا يتمتع بها. ويمكن أن يستعين بمجلس القبيلة، كمستشارين يساعدونه على إدارة شؤونها، مما يحقق مصلحة أفرادها.

هذه القواعد المجتمعية أو القبلية تفرضها في العادة جمعية تلم في البداية زعماء الأسر القريبة، ولا يملئها زعيم القبيلة لوحده بل الأمر موكول لمجلس الشيوخ، والقرارات لا يمكن أن تتخذ بالأغلبية، بل بإجماع الحاضرين.

يكنّ أفراد القبيلة في مجوعهم الاحترام والتقدير لشيخهم، وهذا الذي لاحظته ابن حوقل في البربر حتى قال بأن لهم رؤساء " يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم " ¹

إن تضامن القبيلة (العصبية) مع أفرادها، ومع أي فرد منها مشروط باحترام مصلحة القبيلة والعمل على استجلاب المنافع لها، أو على الأقل عدم التسبب في متاعب ومشاكل قد تعرض كيان القبيلة للخطر. في الوقت الذي يستطيع أن يضمن لنفسه الحماية وللقبيلة وكأن الأمر عقد اجتماعي يحقق أهداف ومستلزمات الطرفين. ²

وقد تنشأ نوع من الطبقة داخل المجتمع القبلي على الرغم من شيوع الحرية بين أفراد القبيلة، يحدث ذلك بسبب بروز طبقة ثرية مالكة للثروة وبخاصة قطعان الماشية

¹ - ابن حوقل , صورة الأرض, دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر, 1992, ص 97.

² - الجابري . المرجع نفسه , ص 255-256.

التي تعتبر الثروة الأولى لدى البدوي، فتكون هذه الثروة وسيلة للارتقاء الاجتماعي وتبوء مكانة متقدمة في هرم المجتمع القبلي. لأن هذا الثري يحسن توظيف ثروته في خدمة القبيلة فيكون مقصد كل محتاج.

كما تنشأ داخل القبيلة شريحة واسعة من العامة وهم الذين يتساوون في أوضاعهم وهناك موالي، وهم الذين ينحازون إلى القبيلة وهم لا يحملون دمها، وهناك أيضا فئة من العبيد، وهم من الأسرى يقوم أسياد القبيلة بإضافتهم إلى جماعته، و عصبته.

لم تكن القبيلة البربرية قادرة على أن تحافظ على نقائها، فأسماء القبائل كانت تمثل جماعات متفاوتة من حيث الكم العددي وقوتها البشرية، إذ نجد بعضها يشكل أمة قائمة بذاتها كما كانت زناتة أو صنهاجة، فقد كانت كل قبيلة مكونة من العديد من القبائل، لذلك كانت القبيلة الكبيرة تمثل في بعض الأحيان ما يشبه الكيان السياسي الاتحادي، فتدخل فيه أكثر من عصبية أو قبيلة، ويتم ذلك عن طريق حلف جامع، أو عن طريق الغلبة والقهر الذي تمارسه القبيلة الكبرى.

إن التركيبة السكانية القائمة على النظام القبلي في المغرب كان لها الدور الكبير في قيام أشكال من الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية تقوت بفعل العصبية القبلية، فكان لذلك تأثير كبير وحاسم على العلاقات في كامل بلاد المغرب¹.

ثانيا - أهم القبائل البربرية مع بداية الفتح الإسلامي :

1-جراوة:

¹ - الحبيب الجحاني: العلاقات البامية والاقتصادية بين إفريقية والغرب الأوسط في القرنين الثاني والخامس للهجرة (الثامن والحادي عشر للميلاد) كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر) باتة 1978، وزارة الشؤون الدينية ؛ الجزائر 1982، ص341.

وهي من أقوى فروع قبيلة زناتة المستقرة في منطقة الأوراس تنتسب إليها الكاهنة ديهيا مقتولة العرب في مرحلة الفتح. كانت جراوة تعطي الطاعة للفرنجة في موطنها، فيما كانت هي تملك الضواحي المجاورة والنواحي القريبة.

وجراوة من ولد كراو بن الديرت بن جانا كانت الرئاسة فيهم للكاهنة ديهيا بنت تابنة بن نيقان بن باورا بن مصكسري بن افرد بن وصلا بن جروا.² تجمعت زناتة حولها لمقاومة العرب بعد مقتل كسيلة ونهاية ثورته. يقول ابن خلدون بأن جراوة كانوا ملوك البربر وزعمائهم، وهو ما يفسر التقاف القبائل البترية حولهم لمقاتلة العرب.³

سكنت جراوة الجهة الشرقية من جبل أوراس، وكانت في كثرة عدد، ووفرة مدد، مما جعل القبائل الأوراسية الأخرى تنظم إليها وتلم لها زمام القيادة. اجتمع إليها بنو يغرن ومن كان بافريقية من زناتة وسائر البتر. فزاد ذلك من هيبتها، وشجع زعيمتها الكاهنة على محاربة المسلمين، ثم بسط نفوذها على إفريقية وشرق والغرب الأوسط. وطرده العرب إلى برقة ومنعتهم من دخولها لمدة خمس سنوات كاملة.

وبعد هزيمة الكاهنة افتقرت جراوة أوزاعا بين القبائل. فممنهم من انضم إلى ابني الكاهنة اللذان عقدا مهادنة مع حسان بن نعمان. وقد كان حسان اشترط عليهم أن يعطوه اثني عشر ألفا يكونون معه في جهاده العدو، فوافقوه وأسلموا. بعثهم مع العرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر.¹ ثم رحل قوم من جراوة واستقروا بسواحل مليلة بالمغرب

² - ابن خلدون: كتاب العبر، ج7، ص10-11.

³ - ابن خلدون، نفسه، ص 11.

¹ - المالكي. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ج1، تح: بشير البكوش، ومراجعة: محمد العروسي

المطوي، ص56.

الأقصى، وكان لهم أثر بين جيرانهم هناك، لكنهم صاروا كما يقول ابن خلدون " مندرجين في (يطوفت) ومن إليهم من قبائل غمارة".²

2- بنو يفرن:

كان بنو يفرن في مرحلة الفتح إحدى أكبر قبائل زناتة وأقواها شوكة. وهم عند نسبة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسبك بن الديريت بن جانا، وهم إخوة مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، وكلهم ينحدرون من يصلتين.

ويفرن كما يقول ابن خلدون في لغة البربر يعني القار³ منهم طائفة بافريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطونا وشعوبا.⁴ انظموا إلى الكاهنة في قتال الجيش الإسلامي الذي قاده حسان بن النعمان. ثم رحلوا إلى الغرب الأقصى أمام زحف القبائل الطرابلسية (لواتة)

وهوارة) المنتشرتين بالأوراس وجنوب القطر التونسي.

3- مغراوة:

كما كانت مغراوة هي الأخرى من أكثر بطون زناتة عددا في هذه الفترة كبني يفرن وجراوة، استقرت بعض فروعها (ريغة) بين مسيلة الزاب و نقاوس في الأوراس. مشهورون بالنجدة و الامتناع من العرب، كان بينهم وبين بنو يفرن منافسة وصراع.

ونسب مغراوة إلى "مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسبك بن الديريت بن جانا، إخوة بني يفرن وبني يرنان"¹. وقد قيل بأن أميرهم في فترة الفتح (صولات بن

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 11.

³ - نفسه، ص 13.

⁴ - ابن حزم، المصدر السابق، ص 498.

¹ - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 29.

ونمار) ذهب إلى المدينة المنورة مقر الخلافة. فقابل الخليفة عثمان بن عفان وأسلم هو وقومه فصاروا من موالي عثمان وبني أمية.² وقد استمر سلطانهم قويا إلى أن غلبتهم صنهاجة فرحلوا إلى المغرب الأقصى.

4- لواتة:

تنسب لواتة إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بطن عظيم من بطون البربر البتر. زعم البعض أنما من القبط.³ وهو قول غير صحيح. فيها قبائل كثيرة مثل سدراتة ومزاتة. كانت لواتة بنواحي برقة لكنهم هاجروا غربا، حيف استقر كثير منهم بجبل أوراس.⁴

5- هواره :

وهم من بطون البرانس، ومن ولد هوار بن أوريج بن برنس. وقد زعم البعض خطأ بأنهم من عرب اليمن. كان موطنهم الأول نواحي طرابلس فرحل بعضهم إلى مناطق بعيدة.¹

6- أوربة :

من ولد أورب بن برنس. كان الأمير فيهم في أول الفتح سكرديد، الذي ولى عليهم ثلاث وسبعين سنة، أدرك الفتح. فلما مات خلفه على رئاسة البرانس كلهم زعيمها كسيلة بن لمزم .

² - نفسه، ص 30.

³ - ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف للنشر. ط5، ص 468.

⁴ - ابن خلدون ، نفسه ص 137.

كانت أوربة تسكن الناحية الغربية من المغرب الأوسط، وقد تمكن أبو المهاجر دينار من استمالتها في أول الفتح، ثم ثارت ضد عقبة بن نافع بعدما اعتقل زعيمها، وتمكنت بالتحالف مع الروم من قتله في جنوب الأوراس.¹ وقد ذكر اليعقوبي² أن طائفة من أوربة خلال القرن الثالث الهجري قد سكنت قريبا من مدينة نقاوس جنوب غرب الأوراس.

7- صنهاجة :

تعتبر صنهاجة من اكبر القبائل البربرية الأصلية المنتشرة في شمال أفريقيا ويعتبرها البعض شعب نظراً لضخامتها وانتشارهم الواسع في شمال إفريقيا سواء في الساحل أو الصحراء ومنهم الحضرة والبدو، ويرجع نسبهم إلى زناك بن برانس بن مازيغ.

إن كلمة صنهاجة مشتقة من اسم جدهم زناك و بظاهرة زيادة و إبدال الأحرف في اللغة البربرية تبدل نطق الكلمة إلى صناك و زاد العرب حرف الهاء فصارت صنهاج أما نسبهم فهم من ولد صناك أو صنهاج .

أما فروع صنهاج فكثيرة جدا فمنهم :

¹ - اليعقوبي ، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، ص 11.

² - عبد الحميد حاجيات، التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط، مجلة الأصالة ع : 60-61، أوت

1978، ص 42-43

³ - اليعقوبي ، المصدر السابق، ص 12

وأما بطون صنهاجة بلكانة/ ملكانة / تلكاثة وأنجفة وشرطة ولمتونة ومسوفه وكدالة ومندلسة - مندلة- وبنو وارت وبنو يتين - وبنو يتيسن - ومن بطون أنجفة بنو مزوات - بنو مزورات- وبنو تثليب - وفشتالة وملواقة - وملوانة -¹ .

هذا ما نقله بعض نسابة البربر في كتبهم وذكر آخرون من مؤرخي البربر أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا .

بعد انتشار الإسلام ارتبط اسمه صنهاجة بالدولة المرابطية التي وحدت كامل بلاد المغرب الإسلامي و الحمادية في المغرب الأوسط و الزيرية في المغرب الأدنى.

المجتمع البربري مثله مثل أي مجتمع انطلق من القبيلة ليشكل أمم ساهم الإسلام في اندماجها أكثر و هذا ما حصل مع قبائل زناتة و صنهاجة التي شكلت ممالك و حتى إمبراطوريات .

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية للمجتمع المغربي

أولا - الأسر

ثانيا - العادات و التقاليد

ثالثا - المظاهر الذهنية

رابعا - الحياة الدينية للمجتمع المغربي

خامسا - الحياة اليومية للمجتمع المغربي

تميز المجتمع المغربي بطباع و خصائص جعلته مميز فرغم شبهه الكبير بالقبائل العربية من ناحية البناء وترتيب القبيلة ولكنه تميز بطباع مختلفة فكانت مثل مظاهر التضامن و الولاء للقبيلة لدرجة الموت من أجلها و شرفها كما أن المرأة البربرية كانت ملكة و أما وقائدا للجيش كما كان الحال مع ديهيا زعيمة جراوة , المجتمع البربري تميز بعادات وتقاليد بقيت مرسخة لحد الساعة مع زوال بعضها مع مرور الزمن لتعارضها مع العقيدة الإسلامية الجديدة في المنطقة .

أولا - الأسرة والمرأة:

تشكل الأسرة في القبيلة البربرية الخلية الأساسية في المجتمع فالأسرة ربها الرجل، وتقوم على الزواج وتعدد الزوجات , في المجتمع البربري وكما في المجتمع العربي والنسب يحسب من حيث الأب. والأسرة تستمر من ذكر إلى ذكر والبنات يخرجن منها بالزواج. يستنتج بعض الدارسين من قصة الكاهنة، والمركز الذي بلغته في قومها. أن نظام الأسرة الذي كان سائدا عند البربر قبل الإسلام هو النظام (الأموي أو الأموسي). وهو النظام الذي يسمح للمرأة من أن تتبوأ المكانة الأولى في الأسرة، لذلك نرى كثير من القبائل البربرية تنسب إلى أسماء جداتها. كما كان الحال بالنسبة لقبيلتي صنهاجة ولمطة³⁷ وهو النظام المألوف عند صنهاجة الجنوب.³⁸

وهذا الوضع المتمثل في تسلم المرأة قيادة الأسرة يجعلها بذلك أكثر تحررا من التي تكون في مجتمع (أبوي). لذلك نرى الكاهنة تنشر شعرها وتكشف للغريب ثديها، وتخالط الرجال دونما حرج ، وتشارك في المعارك بين الجند. وكل ذلك لم يمنعها أن تكون أما وملكة تقود قومها وتساهم في إبداء الرأي.

³⁷ - ابن حزم: المصدر السابق، 495-496.

³⁸ - سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 1، ص 116

والمؤسف حقا أن الأسرة البربرية بعد إسلامهم و اعتناقهم الدين لم تعد تعطي للمرأة دورا رياديا كما كانت سابقا. ولا شك أن سكوت المصادر عن هذا الجانب دليل على أن الرجل هو الذي أصبح يهيمن على الأسرة وبالتالي اختفت المرأة تحت جناحه كما يقال. فلم يعد لها ظهور في الأسرة والمجتمع على حد سواء، وهذا لأن الإسلام منحه القوامة، وأكد له الولاية على البيت.

ولما كان المجتمع المغربي في غالبية مجتمعه ريفي يعتمد أساسا على الرعي وتربية الماشية، فإن المرأة لا يمكن أن تكون إلا عنصرا فاعلا في هذا المجتمع، لما يقتضيه مثل هذا النشاط من جهود جميع أفراد الأسرة لا فرق في ذلك بين المرأة والرجل. بل ونرى اليوم في بعض مناطق الأوراس والقبائل ما تقوم به المرأة من رعي قطعان الماشية وممارسة الزراعة، وأعمال البستنة ، وجلب المياه من العيون والينابيع. وبالتالي فهي لا تكتفي بعملها الفطري والمتمثل في إنجاب الأطفال وتربيتهم، وإعداد الطعام وتوفير ظروف الراحة للزوج والأسرة.

ولما كانت المرأة البربرية على قدر كبير من الحمية، ربما حاربت بجانب زوجها وشاركته المعارك، ومن هؤلاء النسوة من جلسن على عرش الملك. وهذا الأمر يتنافى مع مبادئ الإسلام كما يرى غوستاف ليون.³⁹

والبربري شديد الغيرة على أهله لا يتساهل في أمور الشرف، وربما دفعه ذلك إلى ارتكاب جريمة القتل، متى تحقق من خيانة زوجته له. فقد أورد صاحب الاستبصار قصة يقول فيها انه "كان في مدينة شقبنارية - وهي مدينة قريبة من جبل أوراس - كنيسة وفيها امرأة صنعت من أخلاط عجيبة؛ وإذا اتهم الرجل أهله بأحد، نظر في تلك المرأة فنرى وجه التهم. فيقال أنه كان في تلك الناحية رجل بربري يدعى أنه من أهل الإصلاح، فاتهم ملك شقبنارية أهله بذلك البربري فنظر في المرأة فرأى صورة البربري مع امرأته، فأوقف على ذلك

³⁹ - غوستاف ليون ، حضارة العرب، تر: عادل زعيتير، ط4، مطبعة الباني الحلي، القاهرة 1964 ص249.

الشهود وأخذ البربري فقتله، فغضب لذلك أهل البربري ودخلوا الكنيسة فكسروا تلك المرأة ونزعوها"⁴⁰

وهي قصة أسطورية يصعب تصديق حدوثها، لكنها في المقابل تبين قداسة العلاقة الزوجية عند البربر، وما يحاط بها من سياج يحميها ويصونها حتى قبل الإسلام.

ثانيا - العادات والتقاليد :

من العادات التي أشارت إليها المصادر ظاهرة التبني عند البربر والتي تتمثل بجلاء في قصة الكاهنة مع أسيرها خالد بن يزيد العبسي الذي أسرته، ثم تبنته ليكون أخا لأبنائها فقد قالت له يوما " ما رأيت من الرجال أجمل منك، ولا أشجع " وأنا أريد أن أرضعك، فتكون أخا لولدي " ⁴¹ وقالت له نحن جماعة من البربر لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به " ثم عمدت إلى دقيق من الشعير فلتته بزيت، ووضعتة على ثديها، ثم دعت ولديها، وقاكا لهما كولا مع خالد على ثدي فلما فعلا قالت لهم قد صرتم إخوة.⁴²

وهي عادة تشبه إلى حد ما كان عليه العرب في جاهليتهم من التبني، حتى جاءت النصوص الشرعية بتحريمه. وقد يكون هذا النوع من الرضاع وهذا الشكل من التبني بدافع ظروف طارئة. وهي الني كشفت عنها الكاهنة في آخر أيامها لما قالت لخالد " إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أما أنا فمقتولة ولكن أوصيك بأخويك هذين خيرا "⁴³.

⁴⁰ - الإسبتصار في عجائب الأمصار، كاتب مراكشي مجهول من القرن 6 هـ / 12م، تح: سعد زغلول عبد

الحמיד، دارالنشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 165

⁴¹ - ابن عناري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب، ج 1، ط1، تح: محمد ابراهيم الكتاني - محمد بن تاويت - محمد زنيير - عبد القادر زمامة، دار الغرب الاسلامي، 1985، ص 37.

⁴² - أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا و المغرب، تح: عبد الله العلي زيدان عزدين عمر موسى، دار الغرب الاسلامي، ص 27 .

⁴³ - محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، 1980، ص 66.

و رغم أن البربر دخلوا في الإسلام لكن بقيت بعض العادات والظواهر التي مارسوها وبقوا يمارسونها حتى بعد الفتح الإسلامي مثل وشم الصليب أو صورة الحرفين (W.A) وتقديم القرابين في أماكن مقدسة قديمة ، وحلف اليمين عند الآثار الحجرية ، وإقامة الأعياد في بعض فصول السنة⁴⁴ اندثرت بعدة مدة طويلة ، و بقيت بعض طقوسها فقط.

بعض المغاربة مازالوا إلى اليوم خاصة في الجهات الجبلية محافظين على عادات بربرية أصيلة، توارثوها عن أجدادهم القدامى قبل الفتح وربما بعده، ولكن يصعب تفسير تلك الرموز ومعرفة مدلولها، هل تكون رمزا لشيء مقدس، أم هي تعويذة لحماية الإنسان من العين والأرواح الشريرة، أو هي مجرد أشكال ورموز ابتدعتها أنامل البربري على غرار إنسان الطاسيلي الذي رسم لوحاته على الصخر، بينما رسمها البربري في الشمال على الوجوه والأيدي.

كما أن ظاهرة الوشم هذه هي عادة اشتهرت عند جميع الأمم والشعوب خاصة الرحالة منها. والأشكال المتداولة في الوشم في شمال إفريقيا هي عبارة عن خطوط متقاطعة وزوايا متقابلة، لا تعني عند أصحابها شيء سوى أنها من ألوان التجميل، وضروب التزين، وهي عادة اشتهرت عند النساء أكثر منها عند الرجال، وبالتالي فلا يمكن عزو ذلك إلى التأثير اليهودي والمسيحي، وإلا كيف بقيت هذه العادات، وهذه التقاليد إلى اليوم رغم زوال هذه المؤثرات الدينية.

كما توارث البربر عادات أخرى مرتبطة بمواسم الحرث، أو مواسم جني المحاصيل، أو المواشي، كما اعتاد البربر الاحتفال برأس السنة البربرية حيث يتم تنظيف البيت، وتبديل الأثاث. والتقويم المعمول به عند المغاربة هو التقويم اليولياني، لذلك فهم يسمون الشهور بأسماء لاتينية فيسمون (يناير - يمار، وفبراير - فورار)⁴⁵ لكنهم يسمون (أبريل - نيسان) مما يؤكد اعتمادهم أيضا التقويم السرياني. ويحتفلون أيضا بمقدم فصل الربيع بالرقص

⁴⁴ - محمد العابد الجابري ، المرجع نفسه ص 259 .

⁴⁵ - نفسه ، ص 122.

والغناء⁴⁶. ومن أشهر أدوات الموسيقى الناي المصنوع من نبات القصب، والدف الذي يصنع من جلد الماعز أو الغنم.

ثالثا - المظاهر الذهنية:

لعبت الجغرافيا دورا كبيرا في التأثير في شمال أفريقيا فصبغتهم بصبغتها، حتى أصبحوا وكأنهم جزء لا يتجزأ منها. فقسوة الطبيعة وصعوبة التضاريس في بعض المناطق التي استوطنت بها القبائل البربرية، وبعدهم عن الحواضر الكبرى، جعلت سكانه مستقلين عن النظم التي قامت في إفريقية، والمغرب الأوسط، وظلوا يتمتعون بالحرية في إطار النظام القبلي الذي اعتمدوه.

فالعيش تحت الخيام (خيام الوبر) يشكل عند سكان البوادي رمز الحرية والشرف، بينما تشكل حياة الحضر رمز الذلة والعبودية حيث كانوا يعتزون بحريتهم، مما جعلهم يستسلمون في الدفاع عنها إذا شعروا بأنها مهددة من العدو الخارجي⁴⁷.

وإذا كان البربر لم ينتظموا في ملك يوحدهم وظل كل قبيل منهم مستقل بجهته، فذلك لا يعنى تأصل النزعه الفوضوية فيهم، وأن ذلك خاصة تميزهم، ولكن الحقيقة هي أن الطبيعة الجغرافية هي التي كلفتهم على هذا النحو، فجعلت المجتمع مجتمعا أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة والتمدن؛ وذلك بحكم عاملين اثنين الأول يتمثل في اختلاف مناطق المغرب خصبا وجدبا، وبرودة ودفئا، والثاني هو وجود هامش صحراوي شاسع ظل يشكل مجالا تتحرك فيه القبائل، مما جعل القبائل خاصة في الحضنة و الأوراس في عمومها تعتمد نمط العيش الإنتاجي.

كما يعتقد البعض أن الوازع الديني لدى القبيلة البربرية ضعيف، وأنه لم يكن في فترة من الفترات من العناصر المحركة لها، وأن أساس الالتحام الذي رأيناه في القبيلة البربرية، ليس إلا تلاحم قرابي يستند إلى عصبية عرقية فقط.

⁴⁶ - محمد العابد الجابري، المرجع السابق، ص 123.

⁴⁷ - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط 5، لمركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء، 1996، ص 140.

لكن المتأمل في حياة البربري يرى أنه ينقاد كثيرا للوازع الديني ويخضع له، فقد كانت الكاهنة سواء أكانت يهودية أو نصرانية أو وثنية توظف العامل الديني في تجمع قبائل البربر، مما كانت تدعيه من علم في الأحوال وما تأتيه من خوارق العادات.

رابعاً - الحياة الدينية للمجتمع المغربي :

يعتبر المجتمع المغربي من الشعوب القليلة التي اعتنقت و عرفت كل الديانات السماوية بالإضافة للديانات الوضعية مثل الوثنية .فاعتقوا الوثنية منذ فجر التاريخ وصدرت آلهتهم لحضارات الشرق مثل الإغريق و مصر و شمالا نحو روما، و هذا ما لخصه هيرودوت في مقولته الشهيرة " الجديد يأتي من هنا" إشارة منه لكم الهائل للآلهة الأمازيغية و الثقافة الميثولوجية المهاجرة لهم من بلاد الغرب و كذلك كان المغربي سابقا في التعرف على الدين اليهودي عندما لجأ إليهم اليهود فارين من ظلم نبوذ خنصر و أيضا معرفته للمسيحية قبل روما في حد ذاتها ثم قاد المغربي الإسلام لاحقا بنفسه نحو أوروبا و أفريقيا جنوب الصحراء، و البداية بالديانة الوثنية عند المغاربة دائما ما تتغلب على في أبحاث المؤرخين حول الأوضاع الدنية أولا لقدم هذه الديانة عندهم و مساهمتهم في انتشارها في العالم القديم و هذا ما نوهت له في تمهيدي حول الحياة الدينية وثانيا نظرا لاستمرار هذه الديانة حتى بعد ظهور المسيحية و بقيت تقاوم من اجل بقائها حتى بعد ظهور الإسلام و انتشاره في كل ربوع المغرب ،فالبربر عبدوا آلهة محلية كثيرة مثل أمون و بوسايدون و تانيت و أطلس وأكوش و غرزيل وصدروا الكثير منها مثل أثينا و أطلس و أمون و استمرت هذه الديانة و لكنها بقيت حكرا على البربر البعيدين عن السلطة البيزنطية فقط باعتبار أن بقية أغلبية البربر المسيحيين كانوا مترومين في حياتهم الاجتماعية⁴⁸ و لعل أهم أسباب بقاء الوثنية في المغرب أولا : رغبة البربر في الحفاظ على تراث أجدادهم من الانقراض، وثانيا: المشاكل السياسية والرغبة في الاختلاف عن البيزنطيين و تحدي سياستهم التبشيرية الداعية

48- عيش يوسف ، المرجع السابق ، ص 146

للقضاء على الأوثان والمعبودات المغاربية القديمة, ولكن من أهم الإشكاليات المطروحة هل كانت الديانة الوثنية هي المسيطرة عند بداية الفتح الإسلامي أم المسيحية ومن هي أهم القبائل التي اعتنقتها, فأكبر المعضلات هو شح المصادر التاريخية حول الوثنية في نهاية العصر البيزنطي وبداية الفتح الإسلامي ماعدا بعض المصادر المسيحية التي اشتهرت بالتحامل علة البربر و تضخيم عيوبهم و جعلهم بلاءا على العالم و هذا ما عبر عنه أوغسطين في عدة مواضع أهمها رسالته لأحد الملاكين الكبار - بيوبيل - حول الأرزوقيين حيث عبر له فيها عن تخوفه من بقاء بعض العادات و الوثنية في بعض المناطق التي كانت لبيوبيل فيها بعض الأملاك الزراعية كما عبر أيضا كودوفلنتدوس عن أوضاع الوثنية في رسالة طويلة بوصفه لمعبد قرطاج " 49.....

كان بها معبد ضخم للغاية تحيط به الأضاحي المقدمة لكل الآلهة و تغطي أرضية الساحة المحيطة به فسيفساء و أعمدة و جدران راقية على أكثر من مئة قدم و أصبح عرضة للأعشاب و الأشواك ,إلا عندما حاول المسيحيون تحويله للديانة الحقيقية اعترض الوثنيون بشدة و أشاعوا أن بداخله تتين و ثعابين تحمي هذا المعبد من الدخلاء"50 وهذا النص دليل قاطع على وجود الوثنية بنفس قوة المسيحية و بل تتافسها بشدة من خلال معارضة الوثنيين للمسيحيين في تدنيس معابدهم التي خلفها أجدادهم القدامى و من الإشارات التاريخية الأخرى التي تجعلنا نلمس مدى تمسك البربر بالوثنية و عدائهم للكنيسة نص سينييسيوس القريني حيث قال " ... حرق البربر الكنائس و أصبحت الآن في خراب ...و اخذوا منها الأدوات الثمينة ليقدموها قرايين لآلهتهم ..."51.

كما أن بروكوب لم يغفل عن وصف التعصب الوثني للبربر فوصف واحة أوجيلا أحد المناطق التي احتفظت بوثنيتها و لم تتأثر بالمد المسيحي حيث قال " ...توجد مدينتين

49 - عيش يوسف ,ص 148 .

50 - نفسه ,ص 148

51 - عيش يوسف , المرجع السابق ص148

تحملان نفس الاسم كل واحدة منهما تدعي أوجيلا كانتا بعيدتان عن برقة حوالي أربع أيام سير بالنسبة للمسافرين غير المثقلين بالبضائع و ذلك باتجاه الجنوب .حافظ سكانهما على تقاليدهم القديمة حيث كانوا جميعهم يمارسون الديانة الوثنية حتى وقتنا الحاضر ولهم تماثيل للمعبود آمون و الإسكندر المقدوني كما كان الأهالي يقدمون القرابين للآلهة حتى في عهد جستيان و كان بها عدد كبير من الذين يدعون بالأتباع ...⁵² .

إذا نص بروكوب يخبرنا بوجود مجتمع بربري كون تجمعات سكانية جلهما يتبع الديانة الوثنية و هذا دعم آخر على أن القبائل الطرابلسية خاصة لواتة و هواره كانت وثنية في غالبها و تعبد الإله آمون و ابنه الإله غرزيل كما أن كروبيوس يؤكد ذلك في وصفه لأحد القبائل البربرية الوثنية في قوله "... لقد ذكرت هذه القبائل أن والد غرزيل هذا هو آمون الذي يجل القرون و أن والدته هي بقرة متوحشة ..."⁵³ . و هذا ما يجعلنا نستنتج أن معبود البربر الأساسي بقي هو نفسه آمون القديم و لكن تم إضافة اله جديد اعتقدوا انه ابنه وسمي بغرزيل .

كما أن المصادر الإسلامية أكدت رواية بروكوب و هذا ما أثبتته البكري في وصفه للطريق الرابط بين طرابلس وودان مثبتا وثنية أوجيلا في قوله "... وأوجلة قرى كثيرة فيها نخل و شجر كثير وفواكه...و من سلك من طرابلس إلى ودان فانه يسير إلى بلد هواره نحو الجنوب في قياطن بيوت شعر و هناك مرثيات و منازل من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرزة و من حواليه قبائل البربر يقربون له القرابين و يستشفون به أدوايهم و يتركون به في أموالهم إلى اليوم ..."⁵⁴ . ما يمكن استنتاجه من نص البكري هو انتشار الوثنية في العهد البيزنطي واستمرارها حتى بعد دخول المسلمين الفاتحين.

⁵² - المرجع نفسه.ص 148.

⁵³ - نفسه ,ص 149.

⁵⁴ - البكري , المصدر السابق, ص85.

كما أن اليهودية التي يشاع أنها وصلت لبعض البربر رغم أنها تعتبر من أقدم الديانات السماوية و لكنها ظلت ديانة منغلقة عن نفسها⁵⁵ و لا تفكر في نشر دينها بل كان هم متبعيها هو كيفية السيطرة على مراكز القرار و النفوذ في العالم و هذا ما فعله يهود شمال أفريقيا فلم يثبت أن هناك مدنا أو قبيلة واحدة كانت يهودية بالكامل أو كانت اليهودية دينها الرسمي و ظلت بعض الأمثلة الشاذة التي يتخذها المؤرخين كدليل على انتشار اليهودية مثل قضية الملكة ديهيا المعروفة عند العرب باسم الكاهنة وقبيلتها جراوة حيث كانت هذه القبيلة محل جدل كبير حول انتماء هذه الملكة و قبيلتها لليهودية استنادا لنص ابن خلدون "...كذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استئصال ملكهم "لقرب الشام و سلطانه منهم كما جراوة أهل جبل الأوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ...". إن النص يؤكد لنا في بدايته نظرة على أن هناك قبائل اعتنقت اليهودية بأكملها و قبيلة جراوة مجرد مثال واحد فقط ولكن يعود ابن خلدون ليفند الأمر بنفسه في فقرة أخرى بقوله "... فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الإسلام تحت حكم الإفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم ...".

كما أن بعض المؤرخين عارضوا فكرة يهودية جراوة مستندين على دليل و هو أن كل فرع من قبيلة وجب عليه إتباع القبيلة الأم⁵⁶ و هو ما حدث مع قبيلة زناتة المسيحية التي تعتبر أم لقبيلة جراوة حيث أخذتها النزعة المسيحية و ناصرت البطريق جريجوار ضد المسلمين أي ان جراوة يمكن جدا أنها قبيلة مسيحية⁵⁷ ربما مسها نوع من التهود في السلوك و العادات بحكم معاشرة اليهود فقط .كما أن هناك رأي آخر يفند الرأيين تحدثت عنه المصادر العربية وهو أن الكاهنة كانت تحمل معها في كل معاركها تمثالا ضخما من الخشب على ظهر أحد الجمال و هذه عادة قام بها الأمير يارنا مارسها عندما كان يحمل

⁵⁵ - إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص7.

⁵⁶ - عطا أبو رية، المرجع السابق، ص58.

⁵⁷ عطا أبو رية، نفسه، ص59.

الإله غرزيل ابن آمون معه إلى المعارك على ظهر الجمل مما يجعل موقف ابن خلدون لا يحسم جدلية إن كان هناك فعلا قبيلة بربرية اعتنقت اليهودية أو لا, لكن هذا لا يدحض فرضية انتشار اليهودية بين المغاربة و أن هناك من العائلات من دانت باليهودية و صارت يهودية و هناك من تهود في سلوكه و في العادات و التقاليد فقط دون دخوله في دينهم .

كما يؤكد المؤرخين أن المسيحية وجدت في بلاد المغرب بين السكان المحليين ولم تكن حكرا على البربر المرومنين فقط بل كانت منتشرة بين الأفارقة بشكل كبير و هذا ما تثبته أثار مدينة أريس بباتنة حاليا تؤكد أن هناك قبائل كانت تدين بالمسيحية حيث وجدت نقيشة مكتوب عليها " أن ماستياس لقد باركني الرب في أعمالي ", و هذه مصطلحات مسيحية تؤكد نصرانيته هذا الملك خاصة بعد اكتشاف الصليب بجانب النقيشة كما تم اكتشاف العديد من النقائش و الأضرحة التي تحمل صلوات و عبارات مسيحية في أولاد ميمون وعدة مناطق خاصة في منطقة الجدار . كل هذه المناطق المذكورة تم إثبات مسيحيتها رغم أنها بعيدة جدا عن مركز السلطة المركزية البيزنطية التي لم تمتد أبعد من المنطقة السطايفية وهذا ما يجعلنا نؤكد أن المسيحية انتشرت طواعية دون تدخل من بيزنطا دون إن ننكر دورها في تعميمها في شمال أفريقيا⁵⁸ .

لكن من الملاحظات التي دائما ما تجعل المؤرخين يشكون في اندماج البربر مع المسيحية هو غياب الأسماء البربرية من قوائم القساوسة والأبرشيات التي شاركت في المجامع الدينية وهذا يجعلنا نتوقف عند مصادر القرن السادس و في مقدمتهم بروكوب الذي لم ينكر مسيحية الكثير من القبائل البربرية و لكنه يرجع الفضل لجهود الكنيسة في عهد جستيان التي استغلت فترة الأمن و السلام للقيام بدورها في التبشير كما أن دي بيكلار يعتقد أن قبائل الغرامنت بالفزان لما تحالفت مع بيزنطا دخلت بعدها كلها في المسيحية.

ما يمكن استنتاجه حول الديانة في بلاد المغرب قبيل الإسلام هو حالة الاضطراب الديني وتقبله لكل الديانات الوافدة سواء اليهودية و المسيحية التي اعتنقها ونشرها بنفسه وبل

⁵⁸ عيش يوسف , المرجع السابق, ص 151.

قاد ثورات تصحيحية للمسيحية ضد الكنيسة الكاثوليكية وتحداها كما أن البربري لوحظ عنه تمسكه بالوثنية حتى آخر أيام التواجد البيزنطي وحتى عند دخول المسلمين و هذا ما أكده البكري .إن تقبل المغربي لتلك الديانات خاصة منها السماوية جعلته يندمج و يتقبل الإسلام لاحقا وبل يساهم في نشره شمالا نحو أوروبا وجنوبا في الصحراء الأفريقية الكبرى .

سابعا - الحياة اليومية للمجتمع المغربي :

1- الطعام:

يمتاز بالتنوع مثل الحنطة والشعير، وهذا الأخير يعد من الأطباق الرئيسية التي يتناولها البربري، ينتج بكميات كبيرة في طينة وباغاية⁵⁹ وقد رأينا الكاهنة تصنع نوعا من الطعام من دقيق الشعير ثم تجمع عليه ولديها، وخالد بن يزيد ليأكلوا منه⁶⁰ عندما عمدت إلى دقيق شعير فغلته بزيت⁶¹. وتسمى بعض المصادر هذا الطبق " البسيسه "⁶² والظاهر أن هذا النوع من الأطباق كان له شهرة في المنطقة مما جعله أفضل من غيره من الأطباق يستخدم لتكريس إحدى عادات البربر المشهور الخاصة بالتبني.

وقد نكر ابن حوقل⁶³ "أن سكان جبل نفوسة يشتهرون بزراعة الشعير وإذا خبز كان أطيب طعما من خبز الحنطة، ولشعيرهم لذة" كما شاع عند المغاربة إنتاج زيت الزيتون، فقد كان جببلهم من المناطق التي تغرس فيه هذه الشجرة. والزيتون يستخدم لإنتاج الزيت كما يستهلك كغذاء للإنسان والحيوان .وقد يتحول زيت الزيتون إلى دواء للعلاج. خاصة وأن برودة الجو في بعض المناطق الجبلية وامتداد فصل الشتاء في بعض المناطق الجبلية .

2- اللباس:

⁵⁹ - ابن حوقل : المصدر السابق، ص 85 .

⁶⁰ - الإدريسي ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ص 177.

⁶¹ - ابن عذارى ،المصدر السابق، ج 1، ص 37

⁶² - الرقيق القيرواني ،المصدر السابق، ص 27 .

⁶³ - ابن حوقل : المصدر السابق، ص 92.

أما اللباس فإن عامة البربر يرتدون برانس سود وهذا لوفرة مادة الصوف التي تشكل المادة الأولية لصناعة هذه الثياب، ولكن خشونة ملمس الصوف تجعل البربري يرتدي تحته إزار من كتان أو قطن. خاصة وأن القطن والكتان كانا ينتجان أيضا في عدة مناطق، أما سكان الحواضر من الأغنياء والميسرين فيرتدون الأكسية أما العوام فهم كما يقول المقدسي " والسرقة بمناديل"⁶⁴ لعله يريد القول بأنهم يكتفون بلحاف يلفون به أجسامهم، وأهل البوادي كما يقول ابن خلدون يستغنون عن الثياب الفاخر لأنها من مظاهر أهل الحضارة، لذلك فهم يشتملون الأثواب اشتمالا. كما يضع البربر على رؤوسهم قلانس مصبوغة⁶⁵.

3- السكن والمساكن:

ولما كان البربر يغلب عليهم حياة الترحال، فقد كانت مساكنهم هي الخيام ينسجونها من أشعار الحيوانات وأوبرها، يحملونها إلى المناطق التي يرتادونها، وهم بالتالي كثيري الشبه بالعرب في صحرائهم قبل أن ينغمسوا في مباحج المدنية والحضارة. أما إذا استقروا فإنهم يعيشون في منازل بينونها بالحجارة والطين والحمى وجذوع الشجر ويغطون سقفها بأغصان الأشجار وبعض النباتات. وعادة ما تكون هذه البيوت في سفوح الأودية، كما نشاهد ذلك اليوم في منخفض وادي غوفي حيث تظهر صفوف من المساكن على هذا الطراز.

كما سكن الإنسان المغربي الكهوف في الجبال حتى يستند من الأراضي الزراعية القليلة في إنتاج بعض المحاصيل المحلية. وعادة سكن الكهوف والغيران كما يقول ابن خلدون هي عادة أهل البداوة، إذ يبادرون إلى اتخاذها مساكن من غير علاج ولا إصلاح.⁶⁶

4- اللعب والملاهي:

⁶⁴ - المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إبراهيم خوري، دار المشرق بيروت، ص 192.

⁶⁵ - نفسه، ص 192.

⁶⁶ - ابن خلدون، المقدمة ' ص 451.

لم يكن البربر مجرد ثوار مقاتلين يشنون الغارات، ويتحدون الغزاة المتعاقبين على المنطقة، فهم بقدر الشجاعة التي جبلوا عليها، والتي عملت الطبيعة القاسية التي عاشوا فيها على تأصيلها في نفوسهم، بقدر ما هم أيضا شعب تقنن في اللهو و المرح و اللعب، لذلك مارسوا ألعابا شتى للتسلية والتلهية، وقد ذكر الحميري أن مدينة تبسا(تبسة) كان بهم ملعب⁶⁷.

ومن الألعاب التي يمارسها البربر ركوب الخيل، والعاب تقام في مناسبات كقدوم فصل الربيع الذي يسميه البربر (تافسوت) ويمارسون فيه لعبة تشبه إلى حد كبير لعبة الهوكي الحالية تسمى(تاقوست) حيث يعتقد البعض أن شمال أفريقيا أصل هذه اللعبة العالمية حاليا مارسها البربر قبل الإسلام وهي كرة تصنع من خشب، يجتمع حولها عدد من اللاعبين، يتقاذفونها بعصي طويلة، وفي كل مرة تكون الكرة في حماية أحد اللاعبين، فإذا ما لمسها لاعب آخر بادر من يحمي الكرة إلى لمس اللاعب بالعصا الطويلة التي يحملها قبل توقف الكرة، فتنقل الحماية إلى اللاعب الملموس.⁶⁸

⁶⁷ - الحميري، المصدر السابق، ص129 .

⁶⁸ - هذه اللعبة اختفت تقريبا من البوادي والجبال فما عاد الناس يمارسونها إلا في بعض مناطق الأوراس.

خاتمة

لقد حاول المجتمع المغربي التمسك ببنائه القديم الذي بقي محافظا عليه طوال قرون من الزمن ،و لكنه تأثر مع مرور الزمن ببعض السلوكيات التي جاء بها الوافدون من العهد الفينيقي حتى العهد البيزنطي ولكن حافظ على البناء الاجتماعي وترتيبه ولكن تجمع كل المصادر أن عند دخول العرب الفاتحين تعدوا مرحلة التأثير السلوكي و الحضاري وأثروا حتى على البناء الاجتماعي داخل المجتمع المغربي .

لعبت البيئة والجغرافية والمناخ دورا مهما في صناعة مجتمع متميز عن باقي المجتمعات فكثرة التضاريس و صعوبتها صنعت مجتمعا قويا محاربا شجاعا و في نفس الوقت عرف المجتمع المغربي على مر العصور أنه مجتمع متكافل متضامن فيما بينه و عادة التوزيع التي وجده المسلمون يمارسونها دليل قاطع على هذه الصفة فشجعوها و أثروا على البربر من خلالها كما عرف عليهم التضامن ضد العدو الخارجي و رفض العبودية و السيطرة على أراضيهِ وحريته هذا ما جعلهم يحاربون كل غازي جديد حتى المسلمون قبل أن يتعرفوا على الإسلام و مبادئه .

تميز المجتمع المغربي بطباع و خصائص جعلته مميز فرغم شبهه الكبير بالقبائل العربية و لكنه تميز بطباع مختلفة فكانت المرأة البربرية محترمة و مهابة جدا و كانت القبائل تتسب لأسماء أمهات و ليس الآباء فتبوأ عدة منازل فكانت ملكة على شعبها و قائدا للجيش إضافة لدورها في الأسرة كأم كما لمسناه عند دراستنا لدور ديهيا زعيمة جراوة كما أن القبيلة البربرية تشترط العديد من الشروط من اجل تعيين زعيم للقبيلة مثل الحكمة والسن و المال ..

عرف المجتمع المغربي كل الأديان الوضعية و السماوية فكان في اقله وثنيا عشية الفتح الإسلامي للمغرب مع عينات قليلة جدا كانت على المسيحية خاصة القريبة من مراكز الاستيطان البيزنطي أغلبهم من المترومنين كما أنا اليهودية لم تلقى ترحيبا عند البربر و خلصت المصادر إلى ذكر بعض القبائل المتهودة في الطباع فقط دون اعتناق لليهودية

بعضهم لها مثل قبيلة جراوة و زعيمتهم ديهيا ولكن هذا لا يعني عدم وجود عناصر بربرية قبلت اليهودية كدين لها و لكن لم تحدثنا المصادر عنها بإسهاب.

كان للمجتمع المغاربي عادات و تقاليد بقي منها الكثير ليومنا هذا أخذها من أجداده و لم يستطع التخلي عنها مثل الاحتفال بالسنة الأمازيغية أو السنة الفلاحية (يناير). كما تميز بمظاهر الوشم التي بقيت حتى في العهد الإسلامي رغم تحريم الإسلام لها .

كما عرف البربر أطعمة خاصة بهم وجددهم المسلمون يتناولونها أشهرها البسيصة والكسكسي .

إن البربر رغم إنصباغهم و تأثرهم بالحضارة الإسلامية إلا أنهم بقوا محافظين على الخصائص البربرية القديمة سواء في سلوكياتهم مثل الغضب الشديد و التعصب للقبيلة و كذلك تميزهم بلباسهم الخاص الذي يميزهم بالإضافة على مظاهر اللهو والاحتفال عندهم.

تبقى دراسة المجتمع المغاربي قبيل الفتح الإسلامي سواء من حيث البناء أو الحياة الاجتماعية من أكبر المسائل التي تقل فيها الكتابات فلا بد من وجود الكثير من الحقائق التي لم تصلنا جعلتنا نفقد الكثير من حلقات تاريخ المجتمع المغاربي قبيل أن يصبح جزءا من العالم الإسلامي .



قائمة

المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر

- هيرودوت، التواريخ، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشيم، ط02، القاهرة، مصر، 1975.
- هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، تر: محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، 1966.
- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي النشر، 1992.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 1983،
- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004،
- - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000،

- أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الملقب بابن حوقل , صورة الأرض,

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر, 1992

- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي . رياض النفوس في طبقات علماء

القيروان وإفريقية، ج1، تح: بشير البكوش، ومراجعة: محمد العروسي

المطوي

- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ابن حزم

الأندلسي، تح: عبد السلام محمد هارون، , دار المعارف للنشر. ط5 ,

- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير

باليقوبي , البلدان، تح: محمد أمين ضناوي , دار الكتب العلمية .

- الإسبتصار في عجائب الأمصار، كاتب مراكشي مجهول من القرن 6 هـ

/ 12م، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دارالنشر المغربية، الدار البيضاء

المغرب , 1998

- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي , البيان المغرب في

أخبار الأندلس و المغرب , ج 1، ط1، تح: محمد ابراهيم الكتاني - محمد

بن تاويت - محمد زنيير - عبد القادر زمامة , دار الغرب

الاسلامي، 1985

- محمد بن عبد المنعم الحَميري ,الروض المعطار في خبر الأقطار,ط2
تج: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على
مطابع دار السراج , .1980
- أبو عبد الله محمد بن محمد /الإدريسي, نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق,
مكتبة الثقافة الدينية.
- محمد بن أحمد /المقدسي المعروف بالمقدسي البشاري, أحسن التقاسيم في
معرفة الأقاليم, تحقيق إبراهيم خوري, دار المشرق بيروت.
- أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني,تاريخ أفريقيا و المغرب,تج:عبد
الله العلي زيدان عزالدين عمر موسى ,دار الغرب الإسلامي.

ثانيا: المراجع بالعربية:

- حارش محمد الهادي ، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري - منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي-، المؤسسة الوطنية الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- غانم محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكري المغربي .منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر.
- - ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2003.
- لقبال موسى: البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام، الأصالة، ع 24 ،مارس- أبريل 1975.
- ولفنسون إسرائيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، 1927.
- بن المنصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.
- سعدالله فوزي ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ص 24، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر 1995م.
- الجيلالي عبد الرحمان محمد ، تاريخ الجزائر العام ،الجزء 01، الطبعة 07، ديوان المطبوعات الجزائرية 1994.

- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، ط2، دار الرشاد الحديثة، 1984.
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الملقب بالسيلوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج1، دار الكتاب، الرباط 1904.
- عمورة عمار . نبيل دادوة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 ج1، الجزائر عامة، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- عيش يوسف ، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب" دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، تق: محمد البشير شنييتي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- الملي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، ج 1 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ،حسنيين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط 05، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر ، 1995.
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب الاسلامي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال. ج1، منشأة المعارف الاسكندرية، 1996.
- مؤنس حسين ، الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط2، عالم المعرفة، الكويت 1998. .

* الجابري محمد العابد، العصبية والدولة ،معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الاسلامي ،ط1، دار الثقافة ،الدار البيضاء ،1982 .

- * بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002.

* العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط5 ،لمركز الثقافي العربي، بالدار البيضاء ،1996 .

المراجع المترجمة :

شارل أندري جوليان، تاريخ شمال أفريقيا، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة ، تر : صالح عباد ، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1993.

* غوستاف لبون ، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط4، مطبعة الباني الحلبي.

رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقيا، تر: دولت صادف، مر: محمد السيد غالب، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، مصر، 1965.

المقالات والمجلات :

*مها محمود عيساوي، "إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة

التاريخية"، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية

المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة 24/23 ديسمبر 2011.

• بوعمامة فاطمة: "اليهود في المغرب القديم"، آراء ودراسات في التاريخ والآثار

القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة

24/23 ديسمبر 2011.

• الجنحاني الحبيب: العلاقات البامية والاقتصادية بين إفريقية والغرب الأوسط

في القرنين الثاني والخامس للهجرة (الثامن والحادي عشر للميلاد) كتاب

الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر) باتنة 1978،

وزارة الشؤون الدينية ؛ الجزائر 1982.

• حاجيات عبد الحميد، التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط،

مجلة الأصالة ع : 60-61، أوت 1978

الموسوعات و الاطالس :

• حامد حسان ، أطلس العالم الصحيح، دار مكتبة الحياة، لبنان، 2000 .

الرسائل الجامعية :

• سويدي فتيحة ، بلاد المغرب خلال العهد الوندالي، مذكرة لنيل شهادة

التعليم الأساسي، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة،

بوزريعة.

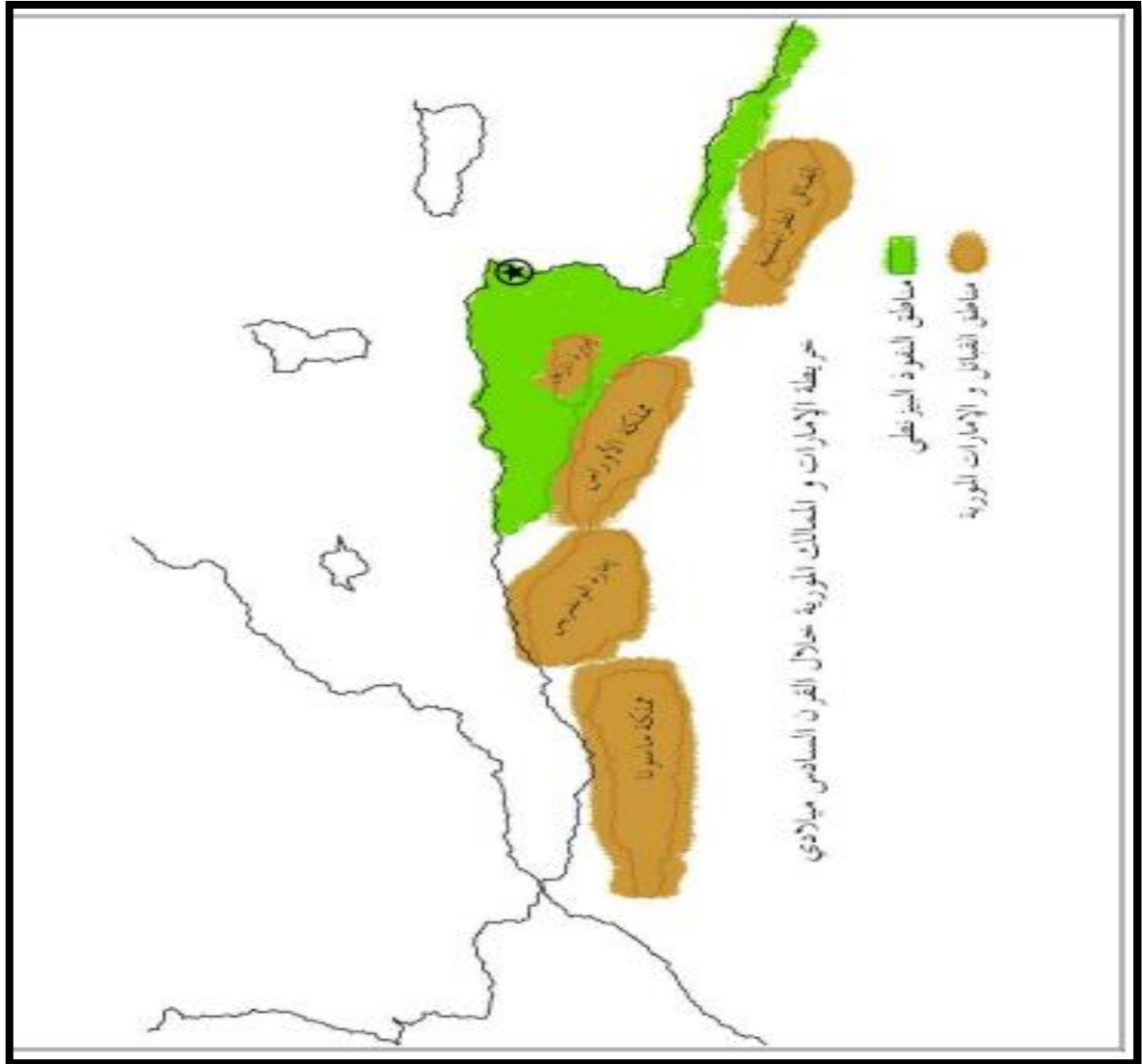
الملحق

الملحق رقم 01: الخريطة الطبيعية لبلاد المغرب



المرجع : عيبش يوسف,المرجع السابق , ص 549

الملحف رقم: 02 الممالك البربرية في بداية الفتح الإسلامي



المرجع نفسه: ص553.

فهرس

الموضوعات

	تشكرات
أ-و	مقدمة
	تمهيد: بلاد المغرب المجال الجغرافي ,المناخ والتضاريس
7	أولا: الموقع الجغرافي
8	ثانيا: التضاريس والمناخ
	الفصل الأول: المجتمعات الوافدة إلى بلاد المغرب
13	أولا: اليهود
15	ثانيا: الوندال
17	ثالثا: البيزنطيون (الروم)
19	رابعا: الأفارقة
22	الفصل الثاني البناء الاجتماعي للمجتمع المغربي
22	أولا - التنظيم القبلي
26	ثانيا - أهم القبائل البربرية مع بداية الفتح الإسلامي
26	2- جراوة
27	2- بنو يفرن
27	3- مغراوة
28	4- لواتة
28	5-هواره
28	6-أوربة
29	7- صنهاجة
31	الفصل الثالث الحياة الاجتماعية للمجتمع المغربي

31	أولا - الأسرة والمرأة
33	ثانيا - العادات و التقاليد
35	ثالثا - المظاهر الذهنية
36	رابعا - الحياة الدينية للمجتمع المغربي
41	خامسا - الحياة اليومية للمجتمع المغربي
41	5- الطعام
42	6- اللباس
42	7- السكن والمساكن
43	8- اللعب و الملاهي
45	خاتمة
/	المصادر والمراجع
/	الملاحق
/	فهرس الموضوعات

بِسْمِ

حَمْدِ اللَّهِ